﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجاثية: 1 - 2]

❁ مناسبة مطلع السورة لخاتمة سابقتها:

ابتدأت سورة الجاثية بالكلام عن تنزيل القرآن من الله تعالى، وهو ما يُكَمِّل ما اختتمت به سورة الدّخان في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ [الدُّخان: 58 - 59]، من جعل القرآن بلغة النّبيّ ﷺ ولغة قومه العرب، فهو عربيُّ اللّسان نصًّا وفحوى، ومعنًى وأسلوبًا، وفي ذلك حثٌّ على اتّباعه والإيمان به[1].

❁ المعنى الإجمالي:

مصدر القرآن هو الله ﷻ، وليس له مصدر آخر سواه

ابتدأ اللّهُ تعالى هذه السّورةَ الكريمةَ بقَولِه: (حم)، وهما مِن الحروف المقطَّعةِ الَّتي تأتي لبيانِ إعجازِ هذا القرآنِ، ثمَّ أخبَرَ تعالى أنَّه تَنزيلٌ مِن عندِ اللّهِ المتَّصِفِ بكَمالِ العِزَّةِ؛ فهو الغالِبُ القاهِرُ، العَظيمُ القَدْرِ، المُمتَنِعُ عليه كُلُّ نَقصٍ وعَيبٍ؛ والمتَّصفُ أيضًا بالحِكمةِ التّامَّةِ في شَرْعِه وخَلْقِه وقَدَرِه؛ فيضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللّائِقِ به[2].

❁ الإيضاح اللّغويّ والبلاغي:

التّوجيه النّحوي لقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

سورة من القرآن مثل كلِّ القرآن في حصول التّحدّي والهداية

يحتمل أن يكون ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ خبرًا لـ: ﴿حمٓ﴾، والتّقدير: (تنزيل حم تَنزِيلُ الكِتَبِ)، والمعنى: تنزيل هذه السورة تنزيل سائر القرآن، فيكون ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ دلالةً على **وجهِ**

(1) الزحيلي، التفسير المنير: 25/ 246.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 72، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 156، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 775.

التَّشبيه، أي هذه السّورة تنزيل من اللّه العزيز الحكيم كما أنَّ الكتابَ كلَّه تنزيل العزيز الحكيم، فجُزْء القرآن مثل سائر القرآن في الوصف، وفيه إشعارٌ بأنّ تنزيل سورة من القرآن كإنزال الكلِّ في حصول الغرض من التّحدّي والهدايةِ[1]، وإن كان ﴿حمٓ﴾ تعديدًا للحروف فيحتمل أن يكون ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ **خبرًا لمبتدأ** محذوف تقديره: (هذا تنزيل الكتاب)، وحُذِفَ المبتدأ بما أشير إليه في قوله: ﴿حمٓ﴾، أي هذا المؤلَّفُ من جنس هذه الحروف تنزيل الكتاب، ففي حذف المبتدأ مدحٌ وتعظيم للتّنزيل وللمنزّل، وعلى هذا الوجه يكون المصدر ﴿تَنزِيلُ﴾ على معنى اسم المفعول، أي هذا منزّل اللّه العزيز الحكيم؛ لأنَّ الإشارة تكون للحاصلِ من المصدر وهو القرآن المقروء، وسبب التّعبير بالمصدر دون اسم المفعول هو المبالغة في كونِه منزّلًا من عند اللّه تعالى[2]، كما أنَّ فيه تعظيمًا لشأنِ تنزيلِه والمنزّل عليه.

وعلى هذين الوجهين يكون المراد الإخبار عن أنَّ هذه السّورةَ هي تنزيلُ الكتاب من اللّه، أو هذا القرآن هو تنزيل الكتاب من اللّه، وهذا هو الأوفى بالمقام، كما يحتمل أن يكون ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ مبتدأً وخبره ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، ليكون المراد الإخبار عن أنَّ تنزيل الكتاب هو من اللّه وليس من غيرِه، وأجاز بعضُ المفسّرين أن يكون أن ﴿حمٓ﴾ قَسَمًا، و﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ نعتًا له، والمقسم به ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، والمعنى: (أقسم بحم الذي هو تنزيل اللّه العزيز الحكيم إنَّ في السَّماواتِ والأرضِ لَآيات)[3]، وأقسمَ على السماوات والأرض إظهارًا لفضلِهما لكونِهما مشحونتين بأصناف البدائِع وأنواع العجائب الدالّة على ألوهيَّتِه وعزّته وحكمتِه، وتقتضي الإيمان باللّه وبكتابِه.

دلالة التّعبير بالجملة الاسمية:

سواء أكان قوله ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ خبرًا لمبتدإ محذوف أم مبتدأً وخبره الجار والمجرور؛ فإنَّ إيرادَ التّعبير بصيغة الجملة الاسميَّة يفيد ثبوت كون هذا الّذي يتلى عليكم هو تنزيل الكتاب من اللّه، وثبوت كونِه من اللّه العزيز الحكيم.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 137.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 67.

(3) النّحاس، إعراب القرآن: 4/ 92، والواحدي، التفسير البسيط: 20/ 131، والزمخشري، الكشاف: 4/ 284، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 105.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿تَنزِيلُ﴾:

أفاد التّعبير بلفظ ﴿تَنزِيلُ﴾ رفعة المنزّل وعلوّه لتنزيله من الله العزيز الحكيم، ففيه تعظيم للقرآن وتشريف له، كما أنَّ فيه تنبيهًا إلى الاعتناء به لرفعتِه وعلوِّ شأنِه.

رفعة القرآن تقتضي تعظيمه وتشريفه والاعتناء به بالقيام بحقِّه

دلالة التعبير بالمصدر ﴿تَنزِيلُ﴾:

لمّا كان فعل المصدر ﴿تَنزِيلُ﴾ هو (نزّل) بتضعيف فاء الفعل الدّالِّ على تفريق المنزّل ونزوله على دفعات أفاد التّعبير بالمصدر ﴿تَنزِيلُ﴾ أنَّ تنزيل القرآن على سيّدنا محمَّد ﷺ مفرّق، ولم ينزل عليه دفعةً واحدةً، ليسهل فهمه وإبلاغه والعمل به، وأشعر قوله ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ أنَّ تفريق تنزيله هو من مقتضى عزّة الله وحكمتِه وحسن تدبيره.

تفريق تنزيل القرآن هو من مقتضى عزّة الله وحكمتِه وحسن تدبيره

فائدة الإضافة في قولِه ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

تحتمل الإضافة أن تكون على معنى اللّام، فتفيد الاختصاص، بمعنى هذا التّنزيل للكتاب، وفائدة الاختصاص تعظيم هذا الكتاب، ويحتمل أن تكون الإضافة من إضافة الصّفة إلى الموصوف على اعتبار أنَّ المصدر بمعنى اسم المفعول كما تقدَّم، والمعنى هذا الكتابُ المنزّل من الله العزيز الحكيم، أو الكتاب المنزّل هو من الله العزيز الحكيم.

القرآن كلام خُصَّ بالتّعظيم

فائدة ﴿مِنَ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قولِه ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ابتدائيَّة، بمعنى أنَّ ابتداء نزول الكتاب هو من الله تعالى، ففيه إثبات جهة صدور القرآن الكريم ومبدأ نزولِه.

بلاغة اقتران الأسماء الثلاثة ﴿ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾:

وردت الأسماء الثلاثة الجليلة بيانًا لمصدرِ التّنزيل، والسّبب في مجيئِها في هذا السّياق هو أنّهُ لمّا كان الكلام في بيان أنَّ القرآن حقٌّ

الـتّـعـرّض لوصفي العزيز الحكيم إيـذانٌ بظهور أثرهما في الكتاب

وصدقٌ وبيانٍ كونِه معجزًا، لمجيئِه عقب ذكر الحروف المقطَّعة كان ذكرُ لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ يدلُّ على أنَّ الكتابَ المنزّل حقٌّ وصدقٌ ويقتضي الإذعان له لما يفيدُه لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ من الدّلالة على وصف الألوهيَّة، وذكرُ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ يدلُّ على كمالِ القدرةِ وأنَّه لإعجازِه يغلب ولا يُغلَب، وذكرُ ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ يدلُّ على أنَّ تنزيلَه بحكمةٍ بالغة وتدبير متقَن وأنَّه محكَم في نفسِه، فالحكيم هو الحكيم في قولِه وفعلِه فلا يلحقه خطأٌ في تدبيره[1]، فالتّعرّض لوصفي العزيز الحكيم إيذانٌ بظهور أثريهما في الكتاب، فالغلبة للكتاب الذي نزّله الله تعالى والّذي حفظه، كما أنَّه بُنيَ على أساس من الحكم الباهرة الظّاهرة.

(1) الطيبي، حاشية على الكشاف: 14/ 231، وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 408.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"